خليص في التاريخ المنسي (١٢)

محمد علي الشيخ

ليست الأمية دالة على الجهل . وما وصف العرب قبل البعثة بالجاهلية لقصور في العقل ؛ إنما لعدم قناعتهم بالدين الجديد : الذي رأوا فيه استلابا لمكانتهم وزعاماتهم ، وتغييرا جذريا لأساليب حياتهم وأنساقهم الثقافية . إذا فالأمية ليست نقيض الفهم والرشد . هي حالة تسبق القراءة والكتابة . هي حالة الشفاهية ، والاعتماد في الحفظ على الحكاية والمرويات .

كانت خليص (أمية) في معظمها إلا بعض من تلقوا ماتيسر من التعليم في (الكتاتيب) أو على يد آبائهم وما أخذوه عن (الشناقطه) وهو في معظمه - إن لم نقل غالبه - يعتمد على مشروع التحفيظ ووسائله ، وشيئ من الفقه ، ومدارسة الحساب ، والتدريب على الكتابة ويمكننا - نقول مطمأنين - أن المغاربة استثناء لارتباط القراءة والكتابة بمهنة المتاجره ، وتوثيق بعض العقود ، وماتيسر من التعاملات ، وكتابة الخطاب للغير - البعيد والغائب . وفي تلك الحقبة من التاريخ برز - على حد علمي - بعض من أدركوا حرفة الكتابة !!! قلنا المغاربة استثناء ؛ لكننا نستدرك : أنه استثناء غير مستوفي الشروط ... وغير مغاير ؛ فثمة نماذج لم تسعفها الظروف للظهور خارج الصندوق ، وبقيت حبيسة قناعاتها الشخصية ، وضمور مفاعيل الرغبة ... وخوف الدخول في متاهة المرايا !!!

لذا لم تنشأ قاعدة ثقافية في المجتمع الخليصي ؛ حتى رغم كثرة العائدين من معاهد المعلمين (نحن هنا في الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري) ذلك أن البنية الثقافية تحتاج لبيئة متحررة - لحد ما - من تكاليف المعاش ، وتبعات الموقف الاجتماعي . وشغوفة بالحراك الإبداعي ، ومتابعة المشهد الثقافي . صحيح هناك محاولات مسرحية قام بها بعض الوافدين من بيئات ثرية ، وخلفيات ذات دراية بالفنون الأدائية ، لكنها مرتجلة ومتباعدة ومرحلية : تنتهي بتخرج الطلاب ، أو بانتهاء عقد المعلمين . والغريب : أن دروس الإنشاء - رغم تضمينها المناهج ، وروح التنافسية فيها ، وتشجيع الصفوة على استدامة ممارستها ، لم تنتج كاتبا يعنون هذا الحقل بإنجاز معلوم !!!

أعني بالنشاط الثقافي = السرديات والشعر . وقد كان الشائع والمتداول هو : المنقولات المتوارثة والمبتدعة من الشعر العامي والحكاية .

وأزعم أنني أول من كتب القصة بخليص ، ونشرها في جريدة المدينة (العدد ٢٥٦١) بعنوان : العودة إلى الصحراء . وفي ٢٨ رجب ١٣٩٣ كتب سباعي عثمان - المشرف على صفحة الثقافة - في جريدة المدينة (العدد ٢٨٦٠) : " هذا الشاب خامة جيدة يعيش في قرية نائية ، حيث يمتهن التدريس . بدأ على هذه هذه الصفحة بعض قصصه القصيرة الناجحة عن طريق زميلنا علي الرابغي - محمد علي الشيخ يواصل نشاطه وإن كان في بطء . وأنا اتوسم فيه مستقبلا مشرفا للقصة " القصيرة . وفي ٢ / ٨ / ١٣٩٣ كتب عبدالله الجفري في جريدة البلاد (العدد ٤٤١٧) : " محمد علي الشيخ كاتب شاب ... صنع له الزميل علي الرابغي عجلات من مطاط ، ومهد له سباعي عثمان طريقا وعرا شائكا ، وجعله مسفلتا كخد زنجية مراهقة " أعرف أن مثل هذا الحديث يشكل استفزازا ؛ لكنني لا أرى في مجانبته صوابا ؛ كأنما - ماأنا عليه زماني المختار ومكاني المقدر !!!

الآن يقدم لنا خليص كوكبة من الروائين ، وكتاب القصة ، والمقالة ، والشعراء : الذين سجلوا حضورا على المشهد الثقافي المحلي والإقليمي ، وربما ؛ بل لعله من المؤكد : أن الجمعية الثقافية في خليص ، وصحيفة غراس : كان لهما أثرا بينا في تنشيط الحالة الثقافية، وتحريض الشباب على اللحاق بقافلة المبدعين ...

محمد علي الشيخ